العلاقات التركية الأمريكية في
عهد الدولة العثمانية (1795 – 1914م)(*)

ياوز جولر – جامعة الغازي بأنقرة

ترجمة د. أحمد عبد الله نجم

كلية الآداب – جامعة عين شمس

1- المدخل:

ثمة وجهة نظر متداولة بشكل كبير تقول إن: " **العلاقات التركية الأمريكية التي استمرت ما يقرب من مائتي عام قد تطورت في بعدها الاقتصادي بشكل كبير حتى الحرب العالمية الثانية، وأن هذه العلاقة قد اكتسبت بعدها السياسي مع ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة سياسية ضخمة بعد هذه الحرب**".

والواقع أن وجهة النظر تلك تنقصها الدقة؛ إذ سيكون من الخطأ تناول العلاقات التركية الأمريكية في العهد العثماني في بعدها الاقتصادي فقط دون النظر إلي جهود وأهداف الولايات المتحدة الأمريكية السياسية علي الأراضي العثمانية. لأن مسائل من قبيل المسألة الأرمينية وجهود التبشير المسيحية – تلك المسائل التي تمتد حتى يومنا هذا – ستجبرنا علي أن نري خطط الولايات المتحدة الأمريكية الغير معلنة في سياسات الشرق الأوسط، وتركستان، وآسيا وتركيا.

والواقع أن العلاقات التركية الأمريكية في العهد العثماني لم تتكون أو تتشكل من الأحداث والوقائع الاقتصادية فقط؛ فهذه الأعوام التي انتهجت فيها الولايات المتحدة الأمريكية **(مبدأ مونرو)** أي حصر نفسها في قارة أمريكا فقط، كانت هي الأعوام التي بدأت فيها جهود المبشرين الأمريكان علي الأراضي العثمانية. مرة أخري فإنه بداية من تلك الأعوام فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد وضعت الدولة العثمانية وبالتبعية الأمة التركية في موقف صعب.

2- تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية وتوسعها

لقد استطاعت انجلترا عقب حرب السنوات السبع(1756- 1763م) التي نشبت بينها وبين فرنسا أن تستولي علي المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية [1] وعلي كندا والهند. ولكن انجلترا بسبب هذه الحرب تعرضت لأزمة مالية كبيرة، وللخروج من هذه الأزمة قامت انجلترا بفرض ضرائب جديدة علي مستعمراتها في أمريكا في عامي 1764 – 1765م. وقد تحولت أزمات الضرائب التي نشبت بين انجلترا والثلاث عشرة مستعمرة التي كانت تشكل مستعمرات انجلترا في قارة أمريكا الشمالية إلي صراع مسلح في عام 1774م.

وقد بدأ سكان هذه المستعمرات في تنفيذ مواجهات ضد انجلترا لفترة من الزمن، وفي 4 يوليو 1776م تم نشر **(إعلان الاستقلال)** ، وأعلنت تلك المستعمرات استقلالها تحت اسم **(الولايات المتحدة الأمريكية)** ومع إصدار **(إعلان الاستقلال)** تحول الصراع بين شعوب تلك المستعمرات وانجلترا إلي صراع استقلال، واستمرت حرب الاستقلال تلك حتى عام 1783م. وفي النهاية خسرت انجلترا الحرب، واضطرت إلي الاعتراف بالولايات المتحدة الأمريكية في معاهدة باريس التي تمت في 3 سبتمبر عام 1783م.

وبعد هذا التاريخ بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في التوسع بسرعة حتى عام 1861م. وكان الفرنسيون في أوائل القرن الثامن عشر يتحكمون في المنطقة التي تشكل القسم الأوسط للولايات المتحدة الأمريكية اليوم، وقد سميت تلك المنطقة بـ **(لويزيانا)** نسبة إلي الملك لويس ملك فرنسا. ولكن فرنسا عندما تعرضت للهزيمة في نهاية حرب السنوات السبع؛ اضطر ت إلى ترك قسم من هذه الأراضي إلى انجلترا، وقسم أخر إلى اسبانيا. وعلى الرغم من أن هذه المنطقة قد عادت إلى الإدارة الفرنسية في عام 1800م مرة أخرى، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت في عام 1803م بشراء تلك المنطقة مقابل 15 مليون دولار، وفي عام 1819م اشترت فلوريدا من الأسبان. كما استولت على تكساس من المكسيك في عام 1845م ،واريجون من الأسبان في عام 1846م، وفضلا على الأراضي التي اكتسبتها الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة للحرب التي جرت مع المكسيك فقد اشترت كل المنطقة الجنوبية الشرقية من المكسيك. في عام 1867م اشترت **(آلسكا)** من روسيا نظير 7.2 مليون دولار، ونتيجة للحرب التي جرت مع اسبانيا سنة 1898م استولت الولايات المتحدة الأمريكية على بورتريكو وفلبين. وفي عام 1917م اشترت جزر **(فيرجين)** التي تتكون من خمسين جزيرة والتي لها أهمية واضحة في البحر الكاريبي اشترتها من الدانمرك نظير مبلغ 25 مليون دولار. وبعد أن عرضنا للتوسع الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية فيما سبق فسوف نعرض في هذا الجدول النمو السكاني للولايات المتحدة في نفس الفترة:

العام	السكان
1800	5.5 مليون نسمة
1810	7.2 "" ""
1820	9.6 "" ""
1830	12.8 "" ""
1840	17 "" ""
1850	23.1 "" ""
1860	31.4 "" ""
1870	38.5 "" ""
1880	50.1 "" ""
1890	62.1 "" ""
1900	75.9 "" ""
1910	91.9 "" ""

جدول (1) زيادة سكان الولايات المتحدة الأمريكية (1800 – 1910م)

ويوضح الجدول السابق أن عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية قد زاد خمسة عشر ضعفًا في مائة عام. وكان هدف الولايات المتحدة الأمريكية الأول في سنوات الاستقلال الأولى هو توسيع مساحة الأراضي الموجودة، وكان شراء لويزيانا من فرنسا سنة 1803م والوصول إلى حدود كندا هو نقطة الذروة في تاريخ أمريكا. وقد أوضح الرئيس جيمس مونرو ضرورة التوسع في جهة الغرب بتلك الكلمات فقال: **"يجب على كل شخص أن يرى بوضوح ضرورة أن يدعم حرية الحركة الواسعة لكل حكومة توسع الأراضي بشرط أن نبقى داخل حدود عادلة. ومن ناحية أخري علي كل الشعب الأمريكي أن يظهر تأثيرات ايجابية في تلك الأراضي التي توضح ضخامتها وكبر حجمها وتنوع مصادرها الفرق بين القوي الكبيرة والقوي الصغيرة".**

ومع انتهاء الحروب الأهلية (1861-1865م) وبداية من عام 1865م حققت الولايات المتحدة الأمريكية نموًّا اقتصاديًّا متعاظمًا استمر حتى عام 1898م ذلك العام الذي شهد اندلاع الحرب بين اسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفي تلك السنوات زاد إنتاج القمح بنسبة 256%وإنتاج السكر المكرر بنسبة 460% وإنتاج الفحم بنسبة 800% وطول السكك الحديدية بنسبة 567% وزاد إنتاج البترول من 3ملايين برميل إلى 55مليون برميل أما الحديد الصلب فقد زاد من 20 ألف طن إلى 9 ملايين طن وكان تأثير استعمال السكك الحديدية كبيرا في ذلك النمو.

وقد حدثت كل هذه التطورات في سنوات العزلة الأمريكية وفي 2ديسمبر 1823م أرسل جيمس مونرو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية رسالة إلى الكونجرس توضح أنه يجب عدم تدخل أمريكا في مشاكل أوربا وعدم تدخل الأوربيين في مشاكل أمريكا. وقد أدت هذه المبادئ التي عرفت فيما بعد **(بمبدأ مونرو)** إلى عدم خروج الحكومة الأمريكية طوال مئة عام من نصف الكرة الأرضية التي تعيش فيها. أما أهم ما قامت به تلك المبادئ فهو أنها قد فتحت القارة التي ظلت بعيدة عن أوربا لكي تنتشر بها إمبرياليۃ استعمارية معينة تتحكم بها الولايات المتحدة فقط.

ومع مبدأ مونرو الذي صدر في 1823م وحتى أوائل القرن العشرين فقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية خارج النظام السياسي الأوربي ونأت بنفسها عن ذلك. وقد صادفت سنوات العشرينات من القرن الثامن عشر التي شهدت إعلان سياسة العزلة تلك بداية الولايات المتحدة الأمريكية لحركة التبشير المسيحي في العالم. ومن المؤكد أن دولة ترسل مبشرين إلى بيروت مثلاً شرق البحر المتوسط خلف المحيط الأطلسي لا يمكن أن تدعي أنها ليس لها أهداف عالمية.

<u>3- بداية العلاقات التركية الأمريكية</u>

لقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكيۃ التي ظهرت كدولة مستقلة في عام 1783م أن تكّون لنفسها بنية خاصة بها في فترة قصيرة، وكانت منطقة البحر الأبيض هي واحدة من مناطق النشاط التجاري للولايات المتحدة الأمريكية التي أعطت أهمية وأولوية للتجارة الدولية. وفي تلك الفترة بدأت أهمية الولايات المتحدة التجارية في البحر الأبيض في الزيادة، وكانت الأهمية الأخرى للبحر الأبيض بالنسبة للولايات المتحدة هي الحجم الكبير لدول البحر الأبيض في شراء الذرة والأسماك المملحة التي كانت إحدى نواتج التصدير الأساسية للولايات المتحدة. وقد اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية لعقد اتفاقية مع إمارة الجزائر التي كانت صاحبة الكلمة في البحر الأبيض في تلك الفترة وذلك عقب استيلاء تلك الإمارة على سفينتين أمريكيتين كانتا تتجولان بدون إذن. وعقب توقيع تلك المعاهدة في عام 1795م قامت الولايات المتحدة بعد نحو عام بتوقيع معاهدة أخرى مع طرابلس وتونس [٢]. وطبقا للمعاهدة التي تمت مع الجزائر فقد اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية لإعطاء إمارة الجزائر طوال عشرين عاما ضريبة قدرها 12 ألف ذهب أو ما يساويها من مستلزمات السفن.

وقد لعبت المعاهدات التجارية التي تمت مع الجزائر وتونس وطرابلس دورًا هامًّا في فتح البحر الأبيض أمام الولايات المتحدة الأمريكية. وقد بدأت العلاقات بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة الأمريكية تتبع لهذه المعاهدات لأن إمارات الجزائر وتونس وطرابلس كانت

إمارات تابعة للدولة العثمانية. وكان متن المعاهدة التي تمت بين الجزائر والولايات المتحدة مكتوبًا باللغة التركية بنفس أسلوب كتابة العهود العثمانية.

وبتلك المعاهدات التي تمت مع آيالات الجزائر وتونس والمغرب وطرابلس التي كانت تسمى أوجاقات الغرب أو أوجاقات المغرب أو أوجاقات البربر فإن الولايات المتحدة قد ضمنت تامين سفنها في غرب البحر الأبيض وبنفس الطريقة دعمت الولايات المتحدة تأمين سفنها في شرق البحر الأبيض[٣].

وقد وجدت الولايات المتحدة ضرورة أن تقيم علاقة مع الدولة العثمانية التي كانت صاحبة مساحة شاسعة من الأراضي تقع ضمن ثلاث قارات، وصاحبة تجارة البحر المتوسط، وما كان لها من أهمية جيوسياسية وجيو ثقافية. ولهذه الأسباب فإن الولايات المتحدة سعت إلي عمل معاهدة مع الدولة العثمانية اعتبارًا من بداية القرن التاسع عشر، وأرسلت هيئات مختلفة إلي الدولة العثمانية. وكانت الدولة العثمانية بين الدول التي كلف الكونجرس الأمريكي في 7 مايو 1784م كل من بنجامين فرانكلين وتوماس جيفرسون وجون آدامز لعمل معاهدات صداقة وتجارة معها. وهذا الوضع يرجع إلي أن سفن الجزائر التي قبضت أو أعطبت السفن الأمريكية كانت تابعة للسلطان العثماني، ولأن توقيع أمريكا لمعاهدة الصلح مع إنجلترا قد حرم السفن الأمريكية من حماية العلم الإنجليزي في البحر المتوسط. ولكن ذلك الأمر لم يتم وذلك لأن آدامز وجيفرسون صرفا النظر عن فكرة عمل معاهدة مع الدولة العثمانية.

وقد كلف الرئيس الأمريكي جون آدامز في عام 1799م هيئة برئاسة السفير الأمريكي وليم ل. سميث السفير الأمريكي في البرتغال من أجل عمل معاهدة صداقة وتجارة مع الدولة العثمانية. ولكن لم تتحقق رغبة الرئيس آدامز بسبب الحروب التي جرت بين الفرنسيين والإنجليز، وبعد ذلك لم تؤد المباحثات التي تمت في أعوام 1820، 1823، 1828م إلي أية نتيجة لأسباب مختلفة.

وكانت زيارات الأمريكيين الأولي للأناضول ذات أساس تجاري، وطبقاً لبعض الوثائق فإن السفن التجارية الأمريكية قد زارت استانبول لأول مرة عام 1786م، وأزمير عام 1797م، والإسكندرية عام 1800م، وكان الأمريكان يبيعون المنتجات القطنية والنبيذ للرعايا العثمانيين بشكل كبير، ويحملون إلي دولتهم السجاد والعنب المجفف (الزبيب) والتين والجلد والأفيون.

أما أول زيارة رسمية فكانت زيارة الفرقاطة الأمريكية **(جورج واشنطن)** إلي استانبول؛ وكانت جورج واشنطن هي أول سفينة حربية أمريكية تدخل إلي البحر الأبيض، واستمرت في رحلتها حتى وصلت إلي استانبول في 9 نوفمبر 1800م، وقدم الأمريكيون هدايا متنوعة للسلطان العثماني[٤].

وفي تلك الفترة كانت العلاقات بين الدولتين يتم تبادلها من خلال السفير الإنجليزي، وذلك بسبب عدم وجود سفير رسمي للولايات المتحدة في الدولة العثمانية، ومقابل هذه الخدمة كانت الولايات المتحدة تدفع أموالاً كثيرة إلي إنجلترا.

وقد قررت الولايات المتحدة إرسال سفيراً لها إلي الدولة العثمانية؛ وذلك للتخلص من دفع تلك الأموال، وأيضاً للتخلص من مراقبة إنجلترا للعلاقات الأمريكية العثمانية. ولكن ذلك الأمر لم يتم في تلك الفترة بسبب بعض العوائق التي ظهرت؛ وكان من أهمها الاحتلال الفرنسي لمصر، وموقف الرأي العام الأمريكي المؤيد لفرنسا.

وقد قام التجار الأمريكان الذين يعملون بالتجارة في ميناء أزمير في 1811م بتشكيل كيان غير رسمي للعمل علي حل المشاكل التي تنشأ مع تجار الدول الأجنبية الأخرى، وذلك لتعويض الغياب الرسمي الأمريكي. وقد تحول بيت التجارة الأمريكي الذي أقامه **(ديفيد اوفلاي)** إلي المكان الأول الذي يقصده التجار الأمريكان القادمون إلي ميناء أزمير، وأصبح هذا البيت بمثابة قنصلية أمريكية، وقد قام اوفلاي بتعيين كل الموظفين اللازمين لتحويل هذا البيت إلي قنصلية حقيقة.

وبعد عام 1810م اعتبرت الولايات المتحدة اوفلاي الممثل التجاري لها في أزمير، وبعد اعتراف الدولة العثمانية به بتلك الصفة، وعقب معاهدة 1830م أصبح للولايات المتحدة الحق في تعيين قناصل لها في الدولة العثمانية في الأماكن التي تراها لازمة.

وقد وصل حجم التجارة بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر إلي مليون دولار، ووصلت إلي ميناء أزمير 8 سفن في عام 1816م، و18 سفينة في عام 1823م، 22 سفينة في عام 1825م، 28 سفينة في عام 1828م أما في عام 1830م فقد وصلت 32 سفينة. وفي عام 1834م وبينما عبرت سفينتان أمريكيتان فقط من مضيق جاناق قلعة من بين 6286 سفينة عبرت المضيق في نفس العام، فإنه بعد حرب القرم كانت تدخل سفينة أمريكية إلي ميناء استانبول كل أسبوع.

4- الاتفاقيات الأولي وتطور العلاقات الثنائية

لقد اكتسبت العلاقات التركية الأمريكية بعداً جديداً وذلك عقب تحطم الأسطول العثماني في عام 1827م علي يد الإنجليز والفرنسيين والروس؛ وذلك لأن هذا الهجوم الذي اشترك فيه الروس والإنجليز والفرنسيون، والهزيمة التي تعرض لها الجيش العثماني في الحرب الروسية العثمانية(1828 - 1829م)؛ دفع الدولة العثمانية للبحث عن علاقات جديدة.

وفي نهاية المباحثات التي جرت بين الدولة العثمانية وممثلي الولايات المتحدة تم في 7 مايو 1830م توقيع معاهدة التجارة وسير السفن بين الدولة العثمانية وبين الولايات المتحدة،

وبتلك المعاهدة التي تشكلت من تسع مواد أعطي للولايات المتحدة شكل الدولة الأكثر تفضيلا ورعاية.

وقد سعت الولايات المتحدة للوصول إلي هذه الوضعية وإلي أن تجعل لنفسها قبولاً ليس لدي الدولة العثمانية وحدها؛ وإنما مع كل الدول التي تجمعها بالدولة العثمانية علاقات. وبهذا الشكل استطاعت الولايات المتحدة الاستفادة التلقائية من الامتيازات التجارية وغيرها التي تمنحها كل دولة للأخرى.

وفي ظل هذا الوضع الجديد فإن الولايات المتحدة استفادت من كل أنواع الأفضلية والإعفاءات؛ مثل عدم مطالبة التجار الأمريكان الذين يزورون الموانئ العثمانية بالرسوم والجمارك التي كانت تحصّل من تجار الدول الأخرى التي اعترفت بهذا الوضع.

وبموجب الأحكام الأخرى للمعاهدة تم تأسيس علاقة دبلوماسية وقنصلية بين الدولتين وتم تنظيم مسألة أي النظم القانونية سوف يمثل أمامها من يرتكبون جرائم من الرعايا الأمريكان فوق الأراضي العثمانية، كما تم تنظيم إمكانية فتح البحر الأسود بحرية أمام مرور السفن الأمريكية من المضايق.

وكانت هناك مادة سرية في تلك الاتفاقية تنص علي إنشاء سفن بسعر التكلفة للأسطول العثماني في الولايات المتحدة، وعن تقديم مساعدات فنية يقدمها المهندسون الأمريكيون في مجال إنشاء السفن في ترسانة استانبول.

ولكن هذه المادة رفضت من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي علي اعتبار أنها ستفتح الطريق أمام خلافات في السياسة الخارجية الأمريكية. وقد أدي رفض تلك المادة إلي قلق الباب العالي الشديد وإلي غضب السلطان محمود الثاني (1808 – 1839م) الذي قال: "**إن من عادات الأجانب أنهم لا يخجلون من نكوصهم عن وعودهم التي قطعوها علي أنفسهم، ولا ينظرون إلا إلي ما فيه منفعتهم ومصالحهم**".

ومن أجل تدارك تلك الأزمة التي نشبت قام رئيس الولايات المتحدة بإرسال خطاب إلي السلطان محمود يفيد بأنه يأمل أن يتفهم السلطان هذا الموقف؛ لأن أية مادة لا تصبح سارية إلا بعد موافقة وتصويت مجلس الشيوخ الأمريكي عليها طبقاً لدستور الولايات المتحدة الأمريكية. وعلي الرغم من أن تلك المادة السرية قد رفضت رسمياً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنه جري تطبيقها من الناحية العملية فقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة الفنية اللازمة لبناء السفن(٥).

وقد وصل إلى استانبو ل في أغسطس 1831م أشهر مهندسي السفن في الولايات المتحدة الأمريكية وهو **(هنري أيك فورد)** على متن سفينة حربية بناها بنفسه. وعلى الرغم من

رفض مجلس الشيوخ لتلك المادة السرية؛ إلا أن السلطان محمود الثاني قد صدق على المعاهدة في أكتوبر 1831م مثمناً تلك الخطوة الايجابية التي قام بها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد اشترت الدولة العثمانية السفينة الحربية **(يونتيد ستايتدز)** التي احضرها هنري أيك فورد إلى استانبول مقابل 15 ألف دولار، كما تم عمل تعهد مع أيك فورد للعمل في الترسانة العامرة. ومن أجل تأمين المتطلبات والاحتياجات اللازمة ذهب أيك فورد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في صيف 1832م، وعاد إلى استانبول مع مهندس السفن **(فوستر رودس)**، ومع عمال بناء السفن الأمريكيين وبدأ في العمل. وقد أنشئت الدولة العثمانية لأيك فورد ترسانة خاصة في **(اينالقاواق)** لبناء السفن ذات الطراز الأمريكي، وبعد وفاة المهندس أيك فورد تولى فوستر رودس مكانه وقد أنشأ رودس الذي ظل في استانبول حتى عام 1840م حوالي عشر سفن كان من بينها أكبر فرقاطا ت الأسطول العثماني تأثيراً مثل **(نواسر)** و **(نصرتيه)** و **(مسير الفرح)**، وعقب عودة روس إلى أمريكا في عام 1840م تولى مكانه مهندس أمريكي أخر يسمى **(ريهاس)** إلا أنه عاد إلى بلده بعد فترة قصيرة، وفي أثناء عمل الأمريكا ن اطلع مهندسو السفن الأتراك على التقنيات الحديثة وبعد عودة الأمريكيين إلى ديارهم استمرت السفن القوية والضخمة في العمل كقوة حرب لدى الدولة العثمانية.

وقد وصل الأسطول العثماني إلى أكبر قوة له في عهد السلطان عبد العزيز (1861 – 1876م)، وقد شهدت تلك الفترة تدخل رجال الأعمال الأمريكا ن في جهود متنوعة فوق الأراضي العثمانية؛ فقد قام رجال الأعمال الأمريكان بجهود لزراعة القطن الأمريكي، والبحث عن المعادن المختلفة في الأراضي العثمانية.

وقد قام الأمريكان بعمل ماكينة تلغراف للسلطان عبد المجيد في عاصمة الدولة في عام 1847م، كما تم إنارة الأماكن المقدسة في المدينة المنورة بمصابيح الغاز التي جاءت من بنسلفانيا.

والواقع أن جهود الأمريكيين تلك قد برهنت للعثمانيين علي أن وجود الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية لم يكن هدراً؛ ولكن فيما عدا ذلك لا يمكننا الحديث عن أي تأثير أمريكي آخر لدي العثمانيين.

وكانت الاتفاقية التجارية التي وقعتها الدولة العثمانية بعد اتفاقية 7مايو عام 1830م مع الولايات المتحد ة الأمريكية هي الاتفاقية التي تدور حول التجارة والملاحة **(سير السفن)** المؤرخة في 13فبراير 1862م.

وكما في اتفاقية 1830م فان الولايات المتحدة قد قبلت بوضع "الدولة الأكبر والأولى بالمساعدة" وعطفاً على اتفاقية 16 أغسطس 1838م[٦] التي وقعت مع انجلترا والتي أوجبت هذا الوضع، فأنه قد نظمت بأدق التفاصيل العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة

الأمريكية، وطبقا للاتفاقية تم تخفيض الجمارك رسمياً من 8% إلي 1%. وفي عام 1884م ألغت الدولة العثمانية من طرف واحد العمل باتفاقية 1862م وعادت للعمل باتفاقية 1830م.

أما الموازين التجارية بين الدولتين فكانت علي النحو التالي:

نصيب الدولة العثمانية من صادرات الدولة الولايات المتحدة الأمريكية السنوية حوالي 1.7% وبلغ نصيب ما اشترته الولايات المتحدة من الدولة العثمانية ما يشكل حوالي 1% من واردات الولايات المتحدة الأمريكية. ومن ناحية أخري فقد شكلت صادرات الدولة العثمانية إلي الولايات المتحدة حوالي 23% من صادرات الدولة العثمانية. ومع هذه المعاهدات فقد سجلت العلاقات التجارية الأمريكية التركية في العهد العثماني نمواً سريعاً. وقد بدأت تظهر كثير من الشركات الأمريكية في أرجاء الدولة العثمانية حتي أن واحدة من تلك الشركات وهي شركة **(سنجر)** لماكينات الخياطة كان لها بفردها مائتي بائع في عموم الدولة العثمانية.

العام	واردات الدولة العثمانية من أمريكا	صادرات الدولة العثمانية إلي أمريكا	حجم التجارة
1832	64.722	923.629	988.351
1842	125.521	370.248	495.769
1852	265.825	556.100	821.925
1862	442.721	959.692	1.402.413
1872	1.209.443	866.719	2.076.162
1882	1.829.166	3.315.647	5.144.813
1892	206.350	4.969.029	5.175.379
1902	774.552	8.895.740	9.670.292
1912	3.798.168	19.208.926	23.007.094

جدول (2) حركة التجارة بين الدولة العثمانية و الولايات المتحدة الأمريكية

والواقع أن الزيادة الكبيرة التي شوهدت في صادرات الولايات المتحدة الأمريكية إلي الدولة العثمانية في سنوات السبعينيات من القرن التاسع عشر، قد حدث نتيجة لإلغاء الولايات المتحدة لقرارها القاضي بمنع بيع الأسلحة النارية والذخيرة إلي الدولة العثمانية الذي كان في معاهدة التجارة مع الدولة العثمانية. لأن قراراً كهذا كان ضرورياً من أجل إمداد الجيش العثماني بالأسلحة الحديثة من جديد في أثناء الاستعداد للحرب العثمانية الروسية سنة 1877م.

وقد فسد هذا الجو الإيجابي في العلاقات الثنائية الأمريكية العثمانية بعد فترة، فقد أدت الأزمات التي عاشتها الدولة العثمانية إلي فتح الطريق أمام الدول الغربية لتطبيق سياسات ضغط علي الدولة العثمانية.وفي هذا الوضع دخلت الدولة العثمانية في أزمات جديدة وبعد حرب **(القرم)** 1877م استدانت الدولة العثمانية لأول مرة من الخارج وقد أدي فقد أراضي هامة مثل **(الأفلاق)** و **(البغدان)** إلي جانب المسائل الاقتصادية الأخرى والهزيمة من روسيا المعروفة بـ **(حرب 93)** إلي أن يغير مواقف الدول الأوربية تجاه الدولة العثمانية. وبعد معاهدة برلين 1878م خاصة صرفت إنجلترا النظر عن سياستها القاضية بعدم تقسيم الدولة العثمانية وكانت الجهود في اتجاه تأسيس دولة أرمينية في شرق الأناضول كانت هي العناصر المؤثرة في تغيير السياسة الخارجية التي كانت تنتهجها الدول الغربية تجاه الدولة العثمانية.

وكأول تغيير في الموقف السياسي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه الدولة العثمانية بدأ الحديث عن شكاوى الموظفين الأمريكيين في الولايات العثمانية البعيدة من عدم تطبيق القواعد والأصول المتبعة في محاولة لإخلاء وإفراغ مركزها في الدولة العثمانية.

وقد بدأت الحكومة الأمريكية بتأثير اللوبي الأرمني الذي شكله الأرمن الذين هاجروا من الدولة العثمانية إلى الولايات المتحدة في **(الدفاع عن حقوق الأرض)** من أجل اغتنام الامتيازات التي تريدها وإبقاء الدولة العثمانية في موقف صعب وقد زادت الضغوط الخارجية الموجهة للدولة العثمانية بعد الهزيمة الثقيلة التي تعرضت لها في حرب 93. ففي عام 1895م قام مجلس الشيوخ الأمريكي في الولايات المتحدة باتخاذ قرار لصالح الأرمن ضد الدولة العثمانية. وقد رأت الدولة العثمانية هذا القرار في إطار الأسباب الدينية وعلي أنه انعكاس للذهنية والعقلية الصليبية وفضلا عن أن الدولة لم تأخذ هذا القرار بجدية كبيرة بسبب كون مجلس الشيوخ ليس له صلاحية في اتخاذ مثل هذا الإجراء.

وأسباب اتخاذ المجلس الأمريكي هذا القرار ضد الدولة العثمانية حسب ترجمة المحررات التي جاءت من سفارة واشنطن هي حماية الأرمن بسبب وحدة الدين، وتحريض المبشرين الذين يعملون علي الأراضي العثمانية، والرغبة في إعادة إحياء المواد (61، 62) والمتعلقة بالأرمن في معاهدة برلين.

وقد طبقت الولايات المتحدة الأمريكية أسلوب **(إرسال السفن الحربية)** الذي كان أسلوباً تتبعه الولايات المتحدة في تنظيم العلاقات الدولية الثنائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد أرسلت الولايات المتحدة السفن الحربية كعنصر تهديد من أجل الحصول علي الامتيازات التي تريدها، وبين عامي (1850 – 1914م) وصلت السفن الحربية الأمريكية إلي استانبول وفي نهاية كل زيارة كانت الولايات المتحدة تحصل علي ما تريد.

وهذه الأسطر في إحدى الوثائق المؤرخة في 1895م توضح ملخص السياسية الخارجية الأمريكية من وجهة نظر الدولة العثمانية ما ملخصه: "**إن الأمريكيين ملتزمون دائماً بالمسيحية، وفي الأساس فإن جملة الأمريكيي ن هم أعداء كل الحكومات الإسلامية، ولكن السياسة والتطبيق ليست هكذا؛ لأن الحكومة الأمريكية تتحرك من وجهة المنفعة والسياسة وليس من وجهة عقائدية**".

5- المبشرون الأمريكيون في الدولة العثمانية.

لقد كان هناك أمران لعبا دوراً في القرن التاسع عشر في تكوين تأثير الولايات المتحدة الأمريكية المتزايد في الدولة العثمانية أولهما الأسطول الأمريكي، وثانيهما **(المبشرون الأمريكيون)**. وبينما كان الأسطول الأمريكي هو الوجه القاسي والبارد للعمل، فإن التبشير كان هو الوجه الدافئ والآلية ذات البعد الإنساني لهذا العمل. وكان التبشير أكثر فائدة من الأسطول في نواحي كثيرة جداً. فمثلاً من الناحية المادية كانت المصاريف السنوية لفرقاطة واحدة تتجول

في البحر الأبيض هو 80 ألف دولار، بينما كانت المصاريف السنوية لعائلة مبشر واحد هي ألف دولار.

وقد قرر المجلس الأمريكي لمندوبي الحكومة للمهمات الأجنبية [ABCFM] الذي كان واحداً من تشكيلات التبشير البروتستانتي الأمريكية الذي تأسس في عام 1810م في ماستشويس من طرف ممثلي ثلاث كنائس قرر إرسال هيئة إلي الدولة العثمانية في اجتماعه السنوي الذي تم في عام 1818م.

وكانت الدولة العثمانية قد وقعت في نصيب مبشري الولايات المتحدة عندما كانت تشكيلات التبشير البروتستانتينية تقسم مناطق العالم فيما بينهم. وكان تشكيلات التبشير الأمريكية بمفردها فوق الأراضي العثمانية حتى عام 1870م.

وبعد اتفاقية 1830م تقريبا بدأ الوجود الأمريكي في الدولة العثمانية في إثبات وجوده في قطاع التبشير والتعليم خاصة. وكانت الامتيازات الاقتصادية أحد الأسباب في حدوث هذا الأمر فقد كانت الأعوام التي شهدت توقيع الاتفاقيات التجارية 1830–1862م هي الفترة التي استقرت فيها حركة التبشير في الدولة العثمانية وتوسعت. ومن اللافت للنظر أنه بعد عام من اتفاقية 1862م أعطي في عام 1863م الإذن الرسمي إلى **(معهد روبرت)**. وبعد هذا التاريخ ظهرت زيادة كبيرة في عدد المدارس الأمريكية، وفي نفس الوقت تشكلت فعاليات وجهود التبشير واكتسبت بنية إدارية.

وعندما لم يحقق المبشرون الذين مارسوا نشاطهم في الدولة العثمانية ما كانوا ينتظرونه من السكان المسلمين واليهود اختاروا الأرمن ككتلة مستهدفة.

وقد اتخذ المبشرون من المدن والمناطق ذات الأغلبية السكانية المسيحية وخاصة طائفة الأرمن مكان لإقامتهم وسكنهم مثل يوزجات وسيواش والآزيغ وديار بكر وعنتب ومرعش وحلب ووان وارضروم. وقد وقف الأرمن بحزم بالغ أمام المبشرين الذين كثفوا جهودهم في الدعاية الموجهة إلى جماعتهم وسعوا لحماية وحراسة أنفسهم. فمثلا احد الأرمن اللبنانيين كان قد الحق أحفاده في مدرسة أمريكية في جبل لبنان ولكنه عندما فهم مايطلبه البروتستانت من أحفادهم أن يعملوه أخذ أحفاده من تلك المدرسة. وقد عمل الباب العالي مع بطريركية الأرمن من اجل منع جهود المبشرين الموجهة للأرمن لتغيير مذهبهم.

وبعد مدة أثرت دعايات التبشير التي تمت بطرق متنوعة جدا من التعليم إلى الصحة في طائفة الأرمن وبدأ الأرمن الجريجريون في اعتناق البروتستانتينية بعد عام 1850م.

وقد استفاد المبشرون الامريكان من الحرية التي وفرتها تنظيمات 1839م، وفرمان الإصلاح 1856م، فقد سّرعوا من جهودهم وقاموا بتأسيس مراكز تبشير في عنتب في عام 1848م، وفي عرب كير سنة 1850م، وفي طوقات وقيصري سنة 1853م، وفي مرعش وحلب

وسيواس وخربوط سنة1854م، وفي اورفة وانطاكية وازميت سنة 1855م، وفي الموصل وديار بكر سنة 1856م، وفي ماردين وبتليس وأدرنة سنة 1857م، وفي أضنة سنة 1863م.

وطبقا لتقارير المبشرين كان عدد المدارس والمعاهد العليا في داخل الدولة في عام 1886م يبلغ 35 مدرسة، وعدد مدارس البنات الداخلية فكان 27 مدرسة، أما عدد المدارس في المستويات الأقل فكان 508 مدرسة، وعدد الطلاب الذين حصلوا على التعليم في الأماكن المتنوعة فكان 25.171 ألف، منهم 13.370 ألف في تركيا، و 6075 في سوريا و 5106 في مصر.

وقد زادت هذه الأرقام حتى الحرب العالمية الأولى. أما اعتباراً من عام 1859م فقد بدأ المبشرون الأمريكيون في إظهار جهودهم في سيواس لأول مرة في الأناضول، وحتى عام 1914م فإنه قد تم افتتاح تسع مستشفيات وعشر مستوصفات أو دور للعلاج، وكان عدد المرضى الذين يتلقون العلاج حوالي 40 ألف مريض.

ونتيجة لجهود المبشرين الأمريكان في الدولة العثمانية فقد تحول بعض الأرمن الجريجوريون إلى البروتستانتينية. وفي الإجمال فقد ظهرت زيادة في عدد الأرمن البروتستانت.

العام	عدد الكنائس	عدد أعضاء الكنائس
1846	4	105
1850	6	158
1855	24	627
1860	27	1278
1865	50	2079
1870	73	3748
1882	108	7490
1890	108	10.980
1900	112	12.109

جدول(3) تطور جماعة البروتستانت في الأناضول وتشمل بداخلها استانبول(1846 – 1900م)

ويمكن أن نري في الخطابات وفي التقارير التي كتبها المبشرون الأمريكان ما الذي كان يقوله الأرمن في المنطقة عن الولايات المتحدة الأمريكية. فقد قام **(جون إي ماريل)** أحد المبشرين الأمريكان بعمل تقييم عن قيام الدولة العثمانية بنقل بعض الأرمن إلى مرعش نتيجة عصيان الأرمن الذي حدث في حي زيتون في استانبول وإرسل هذا التقييم في خطاب إلى القنصلية الأمريكية في حلب قال فيه: "**لقد تم تهجير الشعب المسيحي المتعلم والذكي إلى منطقة مرعش، وهذا يعد ضربة مباشرة إلى مصالح المبشرين الأمريكان. وإجراء كهذا يمكن أن يعرض جهود استمرت لأكثر من خمسين سنة وإنفاق الآف الدولارات للهلاك والخطر**".

وبناء على ما فُهم من ذلك فإنه كانت توجد خطط غير بريئة للولايات المتحدة الأمريكية موجهة إلى الأرمن اللذين يعيشون في الدولة العثمانية.

6-النتيجة

لقد رأت الولايات المتحدة الأمريكية في التجارة الدولية الطريق لأن تكون دولة كبيرة عقيب تأسيسها، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف أرادت أن تستفيد من ميراث **(الرجل المريض)** أي الدولة العثمانية.

وقد تحركت الولايات المتحدة خلف هذه القضية بمشاريع طويلة الأجل بهدف أن تصبح صاحبة الكلمة في الأرض العثمانية.

وقد استمرت رغبة الولايات المتحدة في السيطرة والتحكم في جغرافية الأناضول تحت غطاء العلاقات الاقتصادية التي أقامتها مع الدولة العثمانية، وجهود التبشير التي كانت صاحبة ملايين الدولارات، والتي امتدت عبر ألاف الكيلومترات تحت ظروف القرن التاسع عشر، وتحت جهود تكوين مجتمع للأرمن البروتستانت في أراضي الأناضول.

ومع ضعف الدولة العثمانية فقد تعرضت لهجوم كثير من الدول الاستعمارية، وفي هذه الهجمات لم تكن الأسلحة أو اليد التي تمسك بها ظاهرة في اغلب الأوقات، إنما كانت العصا تتخفى تحت وجه الورود وأيدي الشفقة. حتى المنح الدولية التي أُعطيت للدولة العثمانية لم تكن تحمل أية نوايا جيدة مثل التي يجب أن تكون عليها أية مساعدات إنسانية. واليوم يمكن أن نرى نفس الأيدي ونفس المساعدات عندما نفكر في الأزمات الاقتصادية التي عاشتها الجمهورية التركية.

وبسبب عجز الدولة العثمانية في مواجهة سياسات الدول الاستعمارية طويلة الأجل فإن هذه السياسات لم تستطع أن تتطور. أما النقطة الهامة اليوم فهي أنه يجب توضيح وتحديد المشروعات طويلة الأجل التي وُضعت لعمل ما يلزم ضد الأمة التركية في عهد الدولة العثمانية.

وبناء على ما فهمناه من هذا البحث فإن التهديدات الموجهة إلى الجمهورية التركية في يومنا مثل مسألة التبشير والمسألة الأرمينية قد وُضعت بذورها في عهد الدولة العثمانية بتأثير سياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

الحواشي

(*) Yavuz Güler: Osmanlı Devleti Dönemi Türk – Amerikan İlişkileri (1795 – 1914), Gazi Üniversitesi Kırşehir Eğitim Fakültesi, Cilt 6, Sayı 1, (2005), Ankara, Türkiye.

(1) كانت هذه المستعمرات هي: نيوهامبشير، ماستويش، روايلاد، كونيكتيكت، نيوريورك(أسسها الهولنديون باسم نيونيدرلاند واستولي عليها الإنجليز عام 1644م)، نيوجيرسي(وهي مستعمرة أسسها الهولنديون أيضاً واستولي عليها الإنجليز عام 1644م)، ديلاوير(وهي مستعمرة أسسها الهولنديون والسويسريون واستولي عليها الإنجليز عام 1644م)، بنسليفانيا، ميريلاند، فيرجينيا، نورثكارولينا، سوثكارولينا، جورجيا.

(2) كان العثمانيون يصفون آيالات الجزائر وتونس وطرابلس بأنها " أوجاقات الغرب"

(3) لقد كانت تستعمل كلمة "لوانت" من أجل تجارة شرق البحر الأبيض، وكلمة لوانت هي كلمة فرنسية تعني الشخص الأوربي الذي اختلط نسبه عن طريق الزواج أو الاستقرار في الشرق القريب.

(4) لقد وصف أحد السائحين الإنجليز دخول إحدى السفن الأمريكية إلي ميناء استانبول في 9 نوفمبر عام1800م فقال: " **كان هذا هو أول دخول لفرقاطة أمريكية وكان هذا سبباً لإثارة كبيرة ليس بين الأتراك في استانبول فقط، بل بين كل السلك الدبلوماسي في تلك المدينة**".

(5) رغم عدم موافقة مجلس الشيوخ علي المادة السرية التي تظهر حقائق متنوعة، إلا أن الإدارة في واشنطن رأت أن تغض الطرف عن مبيعات السفن والمستلزمات البحرية التي تقدمها الولايات المتحدة إلي الدولة العثمانية. وقد أخبر الرئيس الأمريكي الباب العالي في بيانات واضحة أن الولايات المتحدة ستقدم كل أنواع المساعدات اللازمة في موضوع بيع السفن. وهذا الأمر الذي حدث منذ 150عاماً يحدث في وقتنا الحاضر حيث تعترض الولايات المتحدة علي شئ بشكل قانوني وتقوم في الوقت ذاته بتنفيذه فعلياً بما يخدم مصالحها العملية البراجماتية.

(6) لقد قام وزير الخارجية البريطاني بلمرستون بتطبيق مشروعه الإصلاحي الذي أعده من أجل الدولة العثمانية عن طريق وسيط عثماني وهو مصطفي رشيد باشا.وتحولت الدولة العثمانية بهذه المعاهدة المؤرخة في 1838م إلي سوق مفتوح.